آفَاتُ اللِّسَانِ

(٩)

كَثْرَةُ السُّؤَالِ-المَدْحُ المَذْمُومُ

الْهِجَاءُ

للشيخ / ندا أبو أحمد

(كثرة السؤال- المدح المذموم- الهجاء)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولا: كثرة السؤال[1]

نهى رب العالمين في كتابه الكريم عن كثرة السؤال فيما لا يعود بالنفع

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة:١٠١ – ١٠٢]

- **سبب نزول هذه الآية**

ما رواه البخاري عن أبي الجويرية عن ابن عباس ﷺ قال:

"كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: مَن أبي؟، ويقول الرجل، تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾ حتى فرغ من الآية كلها"

– *وأخرج البخاري أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ:*

"خرج حين زاغت الشمس فصلَّى الظهر، فلما سلَّم قام إلى المنبر، فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً، ثم قال: مَن أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله! لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمتُ في مقامي هذا[2]، قال أنس ﷺ: فأكثر الأنصار البكاء، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول: سلوني، فقال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟!، قال: النار، فقام عبد الله بن حذافة، فقال: مَن أبي يا رسول الله؟!، قال: أبوك حذافة، قال: ثم أكثر أن يقول: سلوني، فبَرَكَ عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، قال: فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! لقد عُرِضتْ علي الجَنَّة والنار آنفاً في عُرْض هذا الحائط وأنا أُصلِّي، فلم أر كاليوم في الخير والشر".

– *وأخرج الترمذي عن علي ﷺ قال:* "لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، قالوا: يا رسول الله! أفي كل عام؟، فسكت، فقالوا: أفي كل عام؟، فسكت، قال: ثم قالوا: أفي كل عام؟، فقال: لا، ولو قلت: نعم، لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾ الآية"

---

(١) حرمة أهل العلم للشيخ محمد إسماعيل المقدم – حفظه الله – بتصرف واختصار.

(٢) *قال الشاطبي ﷺ:* "وظاهر هذا المساق يقتضي أنه إنما قال: "سلوني" في معرض الغضب؛ تنكيلاً بهم في السؤال؛ حتى يروا عاقبة ذلك، ولأجل ذلك ورد في الآية قوله ﷻ: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾" .اهـ (من "الموافقات": ٤/٣١٦)

- ***قال الحافظ ابن حجر ﷺ في "فتح الباري" (٢٨٢/٨):***

"والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل، إما على سبيل الاستهزاء أو الامتحان، وإما عل سبيل التَّعَنُّت عن الشيء، الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة".اهـ

- ***وقال الإمام ابن القيم ﷺ في "إعلام الموقعين" (١٠٩/١):***

"لم ينقطع حكم هذه الآية، بل لا ينبغي للعبد أن يتعرَّض للسؤال عمَّا إن بدا له ساءه، بل يستعفي ما أمكنه، ويأخذ بعفو الله، ***ومن هاهنا قال عمر بن الخطاب ﷺ:*** "يا صاحب الميزاب! لا تخبرنا" لمَّا سأله رفيقه عن مائه: أطاهر أم لا؟[1]" وكذلك لا ينبغي للعبد أن يسأل ربه أن يُبْدِي له من أحواله وعاقبته ما طواه عنه، وستره، فلعلَّه يسوؤه إن أُبْدِي له، فالسؤال عن جميع ذلك تعرض لما يكرهه الله، فإنه سبحانه يكره إبداءها، ولذلك سكت عنها". اهـ

- ***قال القاسمي ﷺ مُعقِّباً على عبارة ابن القيم ﷺ:***

"وما ذكره من التعميم هو باعتبار ظاهرها، وأما المقصود أولاً وبالذات – كما يفيده تتمتها – فهو النهي عن السؤال بما يسوء إبداؤه في زمن الوحي.

ويدل له ما رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"إن أعظم المسلمين جُرماً، مَن سأل عن شيء لم يُحرَّم فَحُرِّم من أجل مسألته"، فإن مثل ذلك قد أُمِنَ وقوعه". اهـ (محاسن التأويل: ٢١٧١/٦)

- ***وقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لهم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشكروا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله تعالى[2]جميعاً، ويكره لكم قيل وقال[3]، وكثرة السؤال[4]، وإضاعة المال".

---

(١) *قال الشيخ محمد إسماعيل المقدم* – حفظه الله –: "لم أقف علي تخريجه، *وفي "الموطأ" (٢٣/١):* "أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص ﷺ حتى وردوا حوضاً، فقال عمرو بن العاص ﷺ لصاحب الحوض: "يا صاحب الحوض، هل ترد حوضَك السباع؟، فقال عمر ﷺ: "يا صاحب الحوض! لا تخبرنا، فإنا نرد على السباع، وترد علينا" (رواه الدارقطني (٣٢/١)، وابن أبي شيبة في "المصنف":١٤٢/١)، *وقال النووي ﷺ في "المجموع":* "هذا الأثر إسناده صحيح إلى يحيى بن عبد الرحمن لكنه مرسل منقطع...إلا أن له شواهد تقويه"(١٧٣/١ – ١٧٤)

(٢) الاعتصام بحبل الله: أي التمسك بعهده، واتباع كتابه، والتَّأدُّب بآدابه.

(٣) قيل وقال: هو الخوض في أخبار الناس.

(٤) كثرة السؤال: المراد به التَّنطُّع في المسائل، والإكثار من السؤال عما لا يقع ولا تدعو إليه الحاجة.

- *وأخرج الإمام مسلم ﷺ أن النبي ﷺ قال:*

"ذروني ما تركتكم، فإنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم[1]، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأْتُوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه".

- *وروى ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" بسند حسن عن الحجاج بن عامر الثمالي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* "إياكم وكثرة السؤال".

- *وروي عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ أن النبي ﷺ قال:*

"إن الله تعالى فرض فرائض فلا تُضيِّعُوها، وحَدَّ حُدوداً فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تقربوها، وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها".

(رواه الدارقطني والحاكم، وفيه انقطاع بين مكحول وأبي ثعلبة ﷺ، ويشهد له حديث سلمان الذي بعده)

وهو حديث أخرجه الترمذي عن سلمان الفارسي ﷺ قال:

"سُئِل رسول الله ﷺ عن أشياء، فقال: الحلالُ ما أحلَّ اللهُ في كتابه، والحرامُ ما حرَّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه، فلا تتكلَّفُوا"

(حسنه الألباني في صحيح الترمذي: رقم ١٤١٠)

ولابد أن تعلم أخي الحبيب...

أن الله تعالى أراد بك، وأراد منك، فما أراده منك بيَّنه لك، وما أراده بك أخفاه عنك، فلا تشغل نفسك بما أراده الله بك عما أراده منك.

- *وأخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال:* "نُهِينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، وكان يعجبنا أن يجيء الرجل العاقل[2] من أهل البادية فيسأله، ونحن نسمع"

- *وفي قصة اللعان من حديث ابن عمر ﷺ:* "فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها"

(رواه البخاري)

---

(١) *كما فعلوا مع موسى عليه السلام حين قال لهم:* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً. . .﴾الآيات [البقرة:٦٧]، فلما زادوا نبيهم عليه السلام أذىً وتعنُّتاً؛ زادهم الله عقوبة وتشديداً، *وعن ابن عباس ﷺ قال:* "لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شدَّدوا فشدَّد الله عليهم" (رواه ابن جرير في "التفسير": ٢/٢٠٤، رقم:١٢٣٥)

(٢) قوله العاقل: لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه، وحسن المراجعة، فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب.

ـ ***وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ قال:***

"أقمت مع رسول الله ﷺ سنة بالمدينة، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل النبي ﷺ".

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في "فتح الباري"(١٣/٢٦٦):

"ومراده أنه قدم وافداً، فاستمر بتلك الصورة ليحصل المسائل، خشية أن يخرج من صفة الوفد إلى استمرار الإقامة؛ فيصير مهاجراً فيمتنع عليه السؤال"، وفيه إشارة إلى أن المخاطب بالنهي عن السؤال غير الأعراب، وفوداً كانوا أو غيرهم". اهـ

ـ ***وفي "مسند الإمام أحمد" عن أبي أمامة ﷺ قال:***

"لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء . . .﴾ الآية، كنا قد اتقينا أن نسأله ﷺ، فأتينا أعرابياً فرشوناه برداءٍ، وقُلنا: سل النبي ﷺ".

ـ ***وعن البراء ﷺ قال:*** **"إن كان ليأتي عليَّ السَّنَةُ أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الشيء فأتهيَّب، وإن كنا لنتمنَّى الأعراب - أي قدومهم- ليسألوا، فيسمعوهم أجوبة سؤالات الأعراب، فيستفيدوها"** " (عزاه الحافظ في "الفتح":١٣/٢٦٦ " إلى أبي يعلى).

وأمسك الصحابة ﷺعن السؤال حتى جاء جبريل عليه السلام، فجلس إلى النبي ﷺ، فسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، ***ثم أخبرهم ﷺ أنه جبريل، وقال:***

"هذا جبريل أراد أن تعْلَمُوا [1]؛ إذ لم تسألوا" (رواه الإمام مسلم).

قال القاسمي ﷺ: "وأمَّا ما ثبت في الأحاديث من أسئلة الصحابة، فيحتمل أن يكون قبل نزول الآية، ويُحتمل أن النهي في الآية لا يتناول ما يُحتَاج إليه مما تقرّر حكمه، أو ما لهم بمعرفته حاجه راهنة: كالسؤال عن الذبح بالقصَب، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة وما قبلها من الملاحم والفتن، والأسئلة التي في القرآن: كسؤالهم عن الكلالة، والخمر، والميسر، والقتال في الشهر الحرام، واليتامى، والمحيض، والنساء، والصيد... وغير ذلك. لكن الذين تعلقوا بالآية في كراهية كثرة المسائل عمَّا لم يقع، أخذوه بطريق الإلحاق، من جهة أن كثرة السؤال لمَّا كانت سبباً للتكليف بما يشق، فحقها أن تُجْتَنب". اهـ (محاسن التأويل: ٦/٢١٧٣)

(١) تضبط "تعْلَمُوا" و"تَعلَمُوا" أي: تتَعَلَّمُوا.

• الآثار في ذم كثرة السؤال

ـ ***عن عكرمة أن ابن عباس ﷺ قال:*** "انطلق فأفتِ الناس، وأنا لك عون، قلت: لو أن هذا الناسَ مثْلُهم مرتين لأفتيتهم، قال: انطلق فأفتهم، فمَن جاء يسألك عمَّا يعنيه فأفته، ومَن سألك عمَّا لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مُؤْنة الناس" **(سير أعلام النبلاء: ١٤/٥)**

ـ ***وكان رجل يسأل أبا الدرداء ﷺ فقال له:***

"كل ما تسأل عنه تعمل به؟" قال: لا، قال: فما تصنع بازدياد حجه الله عليك؟!" **(الموافقات للشاطبي: ٦٥/١)**

ـ ***وسأل رجلٌ مالكاً ﷺ عن مسألة فلم يجبه، فقال له:*** **"لِمَ لا تجيبني؟، فقال: لو سألت عمَّا تنتفع به لأجبتك"** **(ترتيب المدارك: ١٦٤/١)**

ـ ***وقال إسحاق بن إبراهيم الطبري ﷺ:*** "ربما قال لي– أي الفضيل بن عياض –: "لو أنك طلبت مني الدنانير كان أيسر عليَّ من أن تطلب مني الحديث"، فقلت: "لو حدَّثتني بأحاديث فوائد ليست عندي؛ كان أحب إليَّ من أن تهب لي عددها دنانير، قال: "إنك مفتون، أما والله لو عملتَ بما سمعت لكان لك في ذلك شُغْل عمَّا لم تسمع، سمعت سليمان بن مهران يقول: إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقمة فترمي بها خلف ظهرك، متى تشبع؟" **(سير أعلام النبلاء: ٤٢٨/١)**

ـ ***وعن عبدة بن أبي لبابه قال:*** "وددتُ أن أحظى من أهل هذا الزمان أن لا أسألهم عن شيء، ولا يسألوني عن شيء، يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم" **" (بيان العلم: ١٠٥٩/٢)**

ـ ***وقال ابن وهب: "وقال لي مالك:*** "أدركت أهل هذه البلاد، وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي في الناس اليوم، قال ابن وهب: يريد المسائل" **(المصدر السابق: ١٠٦٦/٢)**

ـ ***وقال مالك:*** "العلم والحكمة نور يهدي الله به مَن يشاء، وليس بكثرة المسائل" **(المصدر السابق: ٧٥٧/١)**

ـ ***وكان مالك ﷺ:*** لا يقدم عليه في السؤال كثيراً، وكان أصحابه يهابون ذلك، قال أسد بن الفرات – وقد قدم علي مالك–: "وكان ابن القاسم وغيره من أصحابه يجعلونني أسأله عن المسألة، فإذا أجاب يقولون له: قل له: فإن كان كذا؟ فأقول له، فضاق عليَّ يوماً، فقال لي: هذه سُلَيْسِلة بنت سليسلة، إن أردت هذا فعليك بالعراق"، وإنما كان مالك يكره فقه العراقيين وأحوالهم لإيغالهم في المسائل، وكثرة تفريعهم في الرأي".اهـ **(الموافقات: ٣١٨/٤)**

• وقد وردت آثار عن السلف فيها النهي عن السؤال عما لم يقع حتى يقع:

يقول القاسم ﷺ: "إنكم تسألون عن أشياء ما كنا نسأل عنها، وتنقرون عن أشياء ما كنا ننقر عنها، وتسألون عن أشياء ما أدري ما هي، ولو علمناها ما حلَّ أن نكتمكموها" **(أخرجه الدارمي)**

- ***وعن زيد المنقري*** ﷺ ***قال:*** "جاء رجلٌ يوماً إلى ابن عمر ﷺ فسأله عن شيء لا أدري ما هو؟ فقال له ابن عمر ﷺ: لا تسأل عمَّا لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يلعن مَن سأل عمَّا لم يكن" **(المصدر السابق:١/٥٠)**

- ***وعن الزهري*** ﷺ ***قال:*** "بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم قد كان، حدَّث فيه بالذي يعلم والذي يرى، وإن قالوا: لم يكن، قال: فذروه حتى يكون" **(المصدر السابق:١/٥٠)**

- ***وعن عامر*** ﷺ ***قال:*** "سُئِل عمَّار بن ياسر ﷺ عن مسألة، فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: "لا" قال: دعونا حتى تكون، فإذا كانت تجشمناها لكم" **(المصدر السابق:١/٥٠)**

- ***وعن طاووس*** ﷺ ***قال: "قال عمر*** ﷺ ***على المنبر:***

"أحَرِّج بالله على رجل سأل عمَّا لم يكن، فإن الله قد بيَّن ما هو كائن" **(المصدر السابق:١/٥٠)**

- ***وعن عمر بن إسحاق*** ﷺ ***قال:*** "لَمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممَّن سبقني منهم، فما رأيت قوماً أيسر سيرة، ولا أقل تشديداً منهم" **(المصدر السابق:١/٥٠)**

- ***وعن رجاء بن أبي سلمة*** ﷺ ***قال:*** سمعت عباده بن نسي الكندي، وسُئِل عن المرأة ماتت مع قوم ليس لها ولي؟ فقال: أدركت أقواماً ما كانوا يشددون تشديدكم، ولا يسألون مسائلكم" **(المصدر السابق:١/٥١)**

- ***وعن زبيد*** ﷺ ***قال:*** "ما سألت إبراهيم عن شيء إلا عرفت الكراهية في وجهه" **(المصدر السابق:١/٥٢)**

- ***وقال أبو وائل*** ﷺ: "لا تقاعد أصحاب: أرأيت [1]، **وقال الشعبي:** "ما كلمة أبغض إلى من: "أرأيت" ***وقال أيضاً:*** "إذا سألت عن مسألة فأُجِبْت فيها فلا تتبع مسألتك: "أرأيت" فإن الله يقول في كتابه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ **[الفرقان:٤٣]** حتى فرغ من الآية " **(جامع بيان العلم: ٢/١٠٧٦)**

(١) الأرأيتيون: الذين يكثرون من قول: "أرأيت" في غير موضعها، كان يسأل عن علة الحكم في أمر تعبدي، أو يكون السائل غير أهل لذلك، وكما يفعل المتنطّعون الذين يعقبون جواب العالم بقولهم: "أرأيت"؛ لأجل تفريع الأسئلة، والتوليد منها، والإيغال فيها لمجرد المراء.

• بيان ما يحمد من الأسئلة وما يذم

قال الحافظ ابن حجر ﷺ: "قال بعض الأئمة:

"والتحقيق في ذلك أن البحث عمَّا لا يوجد فيه نص، على قسمين: (أحدهما) أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها؛ فهذا مطلوب لا مكروه، بل ربما كان فرضاً على مَن تعيَّن عليه من المجتهدين. (ثانيهما) أن يدقق النظر في وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع أو بالعكس، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلاً، فهذا الذي ذمَّه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود رفعه: "**هلك المُتنطّعون...**"، قالها ثلاثاً (رواه مسلم)، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته.

ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السُّنَّة ولا الإجماع، وهي نادرة الوقوع جداً، فيصرف فيها زماناً كان صرفه في غيرها أولى، ولاسيما إن لزم من ذلك إغفال التَّوسُّع في بيان ما يكثر وقوعه وأشد من ذلك– في كثرة السؤال – البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحسِّ، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة ... إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شيء، فيجب الإيمان به من غير بحث.

وأشد من ذلك ما يوقع كثرةُ البحث عنه في الشك والحيرة، قال بعضهم: "مثال التنطع في السؤال حتى يفضي بالمسئول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتي بالإذن – أن يسأل عن السلع التي توجد في الأسواق: "هل يكره شراؤها ممَّن هي في يده من قبل البحث عن مصيرها إليه أو لا؟" فيجيبه بالجواز، فإن عاد فقال: "أخشى أن يكون من نهب أو غصب"، ويكون ذلك الوقت قد وقع شيء من ذلك في الجملة، فيحتاج أن يجيبه بالمنع ويقيِّد ذلك إن ثبت شيء من ذلك حَرُم، وإن تردد كُرِه، أو كان خلاف الأَوْلى، ولو سكت السائل عن هذا التَّنطُّع لم يزد المفتي على جوابه بالجواز.

وإذا تقرَّر ذلك فمن يسدَّ باب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها، فإنه يقل فهمه وعلمه، ومَن توسَّع في تفريع المسائل وتوليدها، ولاسيما فيما يقل وقوعه أو يندر، ولاسيما إن كان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة، فإنه يذم فعله، وهو عين الذي كرهه السلف، ومَن أمعن في البحث عن معاني كتاب الله، مُحافظاً على ما جاء في تفسيره عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا التنزيل، وحصل من الأحكام ما يستفاد من منطوقه ومفهومه، وعن معاني السُّنَّة وما دلَّت عليه كذلك، مُقتصراً على ما يصلح للحجة منها، فإنه الذي يحمد وينتفع به، وعلى ذلك يحمل عمل فقهاء الأمصار من التابعين فمَن بعدهم".اهـ

" (فتح الباري: ٢٦٧/١٣)

• المواضع التي يكره فيها السؤال

قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي ﷺ: "الإكثار من الأسئلة مذموم، والدليل عليه النقل المستفيض من الكتاب والسُّنَّة وكلام السلف الصالح... ***إلى أن قال*** ﷺ:"والحاصل أن كثرة السؤال ومتابعة المسائل بالأبحاث العقلية والاحتمالات النظرية مذموم، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد وُعِظوا في كثرة السؤال حتى امتنعوا منه، وكانوا يحبون أن يجيء الأعراب فيسألون حتى يسمعوا كلامهﷺ، ويحفظوا منه العلم...، ***ثم قال:*** "ويتبيَّن من هذا أن لكراهية السؤال مواضع، نذكر منه عشرة مواضع: –

أحدها: السؤال عما لا ينفع في الدين

كسؤال عبد الله بن حذافة ﷺ: "من أبي؟"، ***ورُوِي في "التفسير" أنه*** ﷺ ***سُئِلَ:***

"ما بال الهلال يبدو رقيقاً كالخيط، ثم لا يزال ينمو حتى يصير بدراً، ثم ينقص إلى أن يصير كما كان؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ. . .﴾ الآية [البقرة:١٨٩]، فإنما أجيب بما فيه من منافع الدين.

وثانيها: أن يسأل بعد ما بلغ من العلم حاجته

كما سأل الرجل عن الحج: **"أكل عام؟" مع إن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** [آل عمران:٩٧]

قاض بظاهره أنه للأبد لإطلاقه، ومثله سؤال بني إسرائيل بعد قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾**

[البقرة:٦٧]

وثالثها: السؤال من غير احتياج إليه في الوقت

وكأن هذا – والله أعلم – خاص بما لم ينزل فيه حكم، ***وعليه يدل قوله*** ﷺ: **"ذروني ما تركتكم"**

وقولهﷺ: **"وسكت عن أشياء رحمةً بكم لا عن نسيان، فلا تبحثوا عنها"**

ورابعها: أن يسأل عن صعاب المسائل وشرارها

كما جاء في النهي عن الأغلوطات.

وخامسها: أن يسأل عن علة الحكم

وهو من قبيل التَّعبُّدات أو السائل ممَّن لا يليق به ذلك السؤال – كما في حديث قضاء الصوم دون الصلاة [١].

وسادسها: أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف والتعمق

وعلى ذلك يدل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]

– ***ولمَّا سُئِلَ الرجل:*** "يا صاحب الحوض! هل ترد حوضك السباعُ؟، ***قال عمر بن الخطاب*** ﷺ: "يا صاحب الحوض! لا تخبرنا فإنا نرد على السباع وترد علينا[٢]"

وسابعها: أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب والسنة بالرأي [٣]

ولذلك قال سعيد: "أعراقي أنت؟[٤]"

– ***وقيل لمالك بن أنس:*** "فالرجل يكون عالماً بالسُّنَّة أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسُّنَّة، فإن قُبِلَت منه، وإلا سكت" (جامع بيان العلم لابن عبد البر: ٩٣٦/٢)

وثامنها: السؤال عن المتشابهات

وعلى ذلك يدل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ . . .﴾ الآية [آل عمران:٧]

– ***وأخرج الدارمي عن عمر بن عبد العزيز*** ﷺ ***قال:*** "مَن جعل دينه غرضاً للخصومات؛ أسرع التنقل" ومن ذلك سؤال مَن سأل مالكاً عن الاستواء؟ فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة" (أخرجه الدارمي أيضاً وأبو نعيم في "الحلية")

---

(١) *وفيه أن عائشة* ﷺ *سُئِلَت عن قضاء الحائض الصومَ دون الصلاة، فقالت للسائلة:* "أحرورية أنت؟، ثم قالت: "كنا نؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة " (أخرجه مسلم)

(٢) *أخرجه الدارقطني وابن أبي شيبة، وقال النووي* ﷺ *في "المجموع"(١٧٣/١):* "هذا الأثر إسناده صحيح إلى يحيى بن عبد الرحمن، لكنه مرسل منقطع... إلا أن له شواهد تقويه.

(٣) *مثل ما جاء في البخاري ومسلم عن أبي هريرة* ﷺ: "أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هُذَيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحَجَر؛ فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقضى أن ديَّة ما في بطنها غُرَّة عبدٍ أو أَمة، فقال وليُّ المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله مَن لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلَّ، ومثل ذلك يُطَلُّ؟ فقال النبي ﷺ: "إنما هذا من إخوان الكهان"، ومعنى "يُطَلُّ": يُهدر – *وفي بعض الروايات:* "بطل" بالباء الموحدة والتخفيف، من البطلان.

(٤) *فقد قال ربيعة لسعيد في مسألة عقل الأصابع:* "حين عظم جرحها، واشتدت مصيبتها، نقص عقلها؟ " فقال سعيد: أعراقي أنت؟" فقلت: "بل عالم متثبِّت، أو جاهل مُتعلِّم" فقال: "هي السُّنَّة يا ابن أخي" (انظر"معالم السنن" للخطابي:٢٨/٤) و(فقه الإمام سعيد بن المسيب:٦٧/٤)

وتاسعها: السؤال عما شجر بين السلف الصالح

وقد سُئِلَ عمر بن عبد العزيز ﷺ عن قتال أهل صفين؟ فقال:

"تلك دماء كفَّ الله عنها يدي، فلا أحب أن ألطخ بها لساني"

(أخرجه الخطابي في العزلة: صـ ١٣٦) و(ابن عبد البر في جامع بيان العلم: ٢/٩٣٤)

وعاشرها: سؤال التعنت [١] والإفحام وطلب الغلبة في الخصام

وفي القرآن في ذم نحو هذا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. . .﴾ **[البقرة: ٢٠٤]، وقال** ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ **[الزخرف: ٥٨]**

- ***وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم:*** "إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ [٢] الخَصِمُ [٣]"

هذه جملة من المواضع التي يُكرَه السؤال فيها، يقاس عليها ما سواها، وليس النهي فيها واحداً، بل فيها ما تشتدّ كراهيته، ومنها ما يخفّ، ومنها ما يُحرم، ومنها ما يكون محل اجتهاد، وعلى جملة منها يقع النهي عن الجدال في الدين، ***كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم:*** "أن المراء في القرآن كفر" **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ. . .﴾ الآية **[الأنعام:٦٨]**، وأشباه ذلك في الآيات والأحاديث...، فالسؤال في مثل ذلك منهي عنه والجواب بحسبه". اهـ

(الموافقات: ٤/٣١٩ – ٣٢١)

---

(١) أي يسأل ليُعَنِّت المسئول ويقهره، لا ليعلم.

(٢) الأَلَدُّ:هو شديد اللدد، كثير الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه؛ لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر" (الإمام النوويﷺ)

(٣) الخَصِمُ:الذي يُخاصم أقرانه ويحاجهم بالباطل، ولا يقبل الحق.

• بيان أن النهي في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١] **مقيد بما لا تدعو إليه حاجة**

نقل القاسمي ﷺ ***عن بعض المفسرين قوله:*** "لابد من تقييد النهي في هذه الآية بما لا تدعو إليه حاجة؛ لأن الأمر الذي تدعوه إليه الحاجة في أمور الدين قد أذن الله بالسؤال عنه، **فقال:** ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، ***وقال النبي*** ﷺ: "قاتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال..."

وكما قيل:

وليس العمى طول السؤال وإنما ... تمام العمى: طولُ السكوت على الجهل

وعن علي ﷺ ***أنه قال:*** "العلم قفل ومفتاحه السؤال" **(مفتاح السعادة " لطاش كبرى زاده:١/٢٥)**

وقال ابن شهاب ﷺ: "العلم خزانة مفتاحها المسألة" **(رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم": رقم ٥٢٤)**

ثم قال القاسمي ﷺ: "ولا يخفى أن الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ بقيدها غنية عن أن تقيَّد بقيد آخر كما ذكره البعض؛ لأن المراد بها: ما يشق عليهم من التكاليف الصعبة، وما يفتضحون به-كما أسلفنا- ممَّا هو خوض في الفضول، وشروع فيما لا حاجة إليه، وفيه خطر المفسدة، والشيء الذي لا يُحتاج إليه، ويكون فيه خطر المفسدة، يجب على العاقل الاحتراز عنه.

وأما ما تدعو إليه الحاجة، فلا تشمله الآية – كما يتضح من نظمها الكريم- مع ما بيَّنته السُّنَّة في سبب النزول، وتحرجُ الصحابة عن المسائل المارّ بيانه – معلوم أنه فيما لا ضرورة إليها، وإلا فمسائلهم في الضروريات والحاجيات طفحت بها كتب السُّنَّة، ممَّا يُبيِّن أن هذه الآية في موضوع خاص.

وقد كان النبي ﷺ **يكره فتح باب كثرة المسائل، خشية أن تفضي إلى حرج، أو مساءة، أو تعنُّت.**

وقد روى الشيخان عن المغيرة بن شعبة أنه كتب إلى معاوية: **"أن النبي** ﷺ **كان ينهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال[1]"** ا هـ بتصرف

---

(١) *وقد سئل الإمام مالك* ﷺ *عن هذا الحديث فقال:* "أما كثرة السؤال فلا أدري: أهو ما أنتم فيه ممَّا أنهاكم عنه من كثرة المسائل؟! فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١]، فلا أدري أهو هذا أم السؤال في الاستعطاء؟". اهـ (من الموافقات: ٤/٣١٦)

• الأغلـــوطـــات[1]

وتتمة للفائدة نذكر هنا هذا الموضوع والذي بعنوان "الأغلوطات"

والأغلوطات: هي المسائل التي يقصد بها تعنيت المسئول وإحراجه أمام الآخرين، أو وضعه في مأزق ما.

- ***وقد قال الأوزاعي*** ﷺ: "الغلوطات: شداد المسائل وصعابها" **(جامع بيان العلم: رقم ٢٠٣٨)**

– ***وقيل:*** "هي المسائل التي يُغالَط بها العلماء ليَزِلُّوا فيها، فيهيج بذلك شر وفتنة".

- وقد نهى النبي ﷺ عن الأغلوطات

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند فيه مقال عن معاوية ﷺ قال:

"نهى رسول الله ﷺ عن الغلوطات – وفي رواية: الأغلوطات"

- وجاء في كتاب "جامع بيان العلم" بسند واهٍ عن أمير المؤمنين معاوية ﷺ وقد ذكروا المسائل عنه فقال: "أما تعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عُضَل[2] المسائل".

– ***قال الخطابي ﷺ في شرح الحديث السابق:*** "المعنى أنه نهى أن يُعتَرَض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط، ليستنزلوا ويستسقط رأيهم فيها، وفيه كراهة التَّعمُّق والتَّكلُّف فيما لا حاجة للإنسان إليه من المسألة، ووجوب التَّوقُّف عمَّا لا علم للمسئول به، وقد روينا عن أبي بن كعب: "أن رجلاً سأله عن مسألة فيها غموض، فقال: هل كان هذا بعد؟، قال: "لا"، قال: " أمهلني إلى أن يكون"

- وجاء في كتاب "جامع بيان العلم": "أن رجلاً سأل مالك بن أنس عن رجل شرب في الصلاة ناسياً، فقال: " ولِمَ لم يأكل؟"، ***ثم قال: حدَّثنا الزهري عن علي بن حسين أن النبي ﷺ قال:***

"إن من حُسْنِ الإسلام المرء تركه ما لا يعنيه". اهـ **(معالم السنن: ١٧٢/٤)**

---

(١) حرمة أهل العلم: صـ ٢٧١ – ٢٧٧.

(٢) المُعضلةُ: هي الأمر المعيي الذي لا يُهتدى لوجهه.

ـ **وعن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه قال:** "سلوني؟ فسأله ابن الكواء، فقال: "ويلك سل تفقهاً، ولا تسل تعنُّتاً"، **وفي موضع آخر قال علي ﷺ لابن الكواء:** "إنك لَذَهَّابٌ في التِّيه، سل عمَّا ينفعك أو يعنيك"، قال: "إنما نسأل عما لا نعلم" (جامع بيان العلم رقم: ٧٢٦)

ـ **وقال الربيع بن خثيم ﷺ:** "يا عبد الله، ما علَّمك الله في كتابه من علم، فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم، فكِله إلى عالمه، ولا تتكلَّف، فإن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]" (المصدر السابق رقم: ٢٠١١)

ـ **وقال يحيى بن أيوب ﷺ:** "بلغني أن أهل العلم كانوا يقولون: "إذا أراد الله أن لا يُعلِّم عبده أشغله بالأغاليط" (المصدر السابق: ٢٠٩٩)

ـ **وعن الأوزاعي ﷺ قال:** "إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم؛ ألقى على لسانه الأغاليط" (المصدر السابق: ٢٠٨٣)

ـ **وعن الحسن البصري ﷺ قال:** "شرار عباد الله ينتقون شرار المسائل يُعَمُّون بها عباد الله" (المصدر السابق: ٢٠٨٤)

ـ **وعن مالك بن أنس قال:** جاء ابن عجلان إلى زيد بن أسلم، فسأله عن شيء فخلط عليه، فقال له زيد: "اذهب فتعلَّم كيف تسأل، ثم تعال فَسَلْ" (الجامع للخطيب: ٢١٣/١)

ـ **كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة، قال للسائل:**

"أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس" (العقد الفريد: ٩١/٢)

ـ **وقال مالك: "قال رجل للشعبي:**

"إني خبَّأت لك مسائل، قال: "أخبأها لإبليس حتى تلقاه فتسأله عنها"

ـ **وسأل رجلٌ الشعبي عن المسح على اللحية فقال:** "خلِّلها بأصابعك" فقال: "أخاف أن لا تبلَّها" **قال الشعبي:** "إن خفتَ فانقعها من أول الليل" (المراح في المزاح: صـ ٣٩)

وسأله آخر: "هل يجوز للمحرم أن يَحُكَّ بدنه؟" قال: "نعم" قال: " مقدار كَمْ؟ " قال: "حتى يبدُوَ العظم" (المصدر السابق)

ـ **وعن سعيد بن بشير قال:** "كان مالك إذا سئل عن مسألة يظن أن صاحبها غير مُتعلِّم، وأنه يريد المغالطة زجره بهذه الآية: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩]

ـ ***وسأل عمرو بن قيس مالك بن أنس:*** "عن مُحْرِم نزع نَابَي ثعلب، فلم يرد عليه شيئاً"

(العقد الفريد: ٢/٩١)

ـ ***وعن عبد الرحمن بن أبي نُعم:*** **"أن رجلاً سأل ابن عمر وأنا جالس عن دم البعوض يصيب الثوب؟ فقال له: "ممَّن أنت؟، قال: "من أهل العراق"، فقال ابن عمر: "ها انظروا إلى هذا! يسأل عن دم البعوض[1]، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ!! سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحسن والحسين هما ريحانتي من الدنيا"** **(رواه البخاري والترمذي واللفظ له)**

– ***وفي رواية:*** **"أنه سُئِلَ عن المُحْرِم يقتل الذباب؟ فقال: يا أهل العراق تسألونا عن قتل الذباب، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ".**

ـ ***وسأل رجل عمر بن قيس:*** "عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خُفِّه أو في جبهته من حصى المسجد، فقال: "ارم بها"، قال الرجل: "زعموا أنها تصيح حتى تُرَدَّ إلى المسجد" فقال: "دعها تصيح حتى ينشق حلقها"، فقال الرجل: "سبحان الله! ولها حلق؟، قال: "فمن أين تصيح؟"

(العقد الفريد: ٢/٩٢)

ـ ***وعن أيوب قال:*** "سمعت رجلاً قال لعكرمة: "فلان قذفني في النوم"، قال: "اضرِبْ ظلَّه ثمانين"

(سير أعلام النبلاء: ٥/١٩)

ـ ***وعن الأعمش قال:*** "أتى رجلٌ الشعبي، فقال: ما اسم امرأة إبليس؟ قال: "ذاك عُرْسٌ ما شهدته"

(المصدر السابق: ٤/٣١٢)

ـ ***وجاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له:*** "إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل، فإلى القبلة أتوجَّه، أم إلى غيرها؟، فقال له: "الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسْرَق" **(المراح في المزاح: ص ٤٣)**

(١) البعوض: جمع بعوضة، وهو صغار البَقِّ.

ثانيا: المدح المذموم

والمدح: هو الثناء، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مذموم.

والحديث عن المدح المذموم: وهو منهيٌّ عنه؛ لأنه يعود بالفتنة على الممدوح، أو فيه مجازفة، أو إفراط

وقد نهى النبي ﷺ عن هذا النوع من المدح

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي بكر ﷺ قال: **"أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبي ﷺ، فقال: "ويلك قطعتَ عُنُقَ صاحبك، قطعتَ عُنُقَ صاحبك، مراراً، ثم قال: مَن كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: "أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه"**

ـ وأخرج البخاري ومسلم أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

"سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يُثني على رجلٍ ويطريه في مدحه، فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل"

– ***قال ابن بطال*** ﷺ: "حاصل النهي أن مَن أفرط في مدح آخر بما ليس فيه؛ لم يأمن على الممدوح العُجْب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة فربما ضيع العمل والازدياد من الخير؛ اتّكالاً على ما وصف به، ولذلك تأول العلماء في الحديث..."**احثوا في وجوه المدَّاحين التراب"** (رواه مسلم)، أن المراد مَن يمدح الناس في وجوههم بالباطل". اهـ (انظر آفات اللسان للقحطاني – حفظه الله–: صـ ١٠٤ – ١٠٧)

– ***وأخرج ابن ماجه من حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:***

"إياكم والتَّمادُح فإنه الذبح" (صحيح الجامع: ٢٦٧٤)

– ***ويقول عمر*** ﷺ: **"المدحُ هو الذبح"** (فتح الباري: ٤٧٧/١٠)

والمقصود بالمدح هنا هو المدح المذموم

فلهذا نُهِيَ عن المدح المذموم؛ لأنه يدخله ست آفات: أربعٌ في المادح، واثنان في الممدوح.

- **فأما الآفات التي تصيب المادح**:-

الأولى: الإفراط أو المبالغة في المدح؛ فيُؤدي ذلك إلى الكذب.

الثانية: أن يكون ما يضمره المادح من حب للممدوح لا يوازي المديح؛ فيقع في الرياء.

الثالثة: أن يمدحه بما ليس فيه؛ فيقع في النفاق.

الرابعة: أن يمدحه بالصفات المطلقة مثل: "هو من الصالحين – أو من الأولياء" فيصبح من المتألين على الله.

- **أما الممدوح، فيضره المدح من وجهين**:-

الأولى: إذا كان ظالماً أو جباراً أو فاسقاً؛ دخل السرور إلى قلبه بهذا المديح، ممَّا قد يزيده طغياناً وتجَبُّراً وفسقاً. ***يقول الحسن البصري*** ﷺ: "مَن دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحبَّ أن يعصي الله"

الثانية: إن كان من الطائعين، فإما أن يُحْدِثَ المدح فيه كِبراً وإعجاباً وهما مهلكان؛ ***ولهذا قال النبي*** ﷺ ***لما سمع رجلاً يمدح رجلاً:*** **"ويحك قطعت عُنُقَ صاحبك"** (رواه البخاري ومسلم)

أو أمر آخر ربما يحدث وهو: أنه إذا أثنى عليه فرح وفتر ويصاب بالغرور والعُجْب ويرضى عن نفسه، فيتكاسل عن العمل، ويغفل عن تقصيره". بتصرف واختصار (الإحياء: ٣/٢١٣)

– ***يقول البغوي*** ﷺ ***كما في "شرح السُّنَّة"(١٣/١٥١):*** "وفي الجملة: المدح والثناء على الرجل مكروه؛ لأنه قلَّما يسلم المادح من كذب يقوله في مدحه، وقلَّما يسلم الممدوح من عُجْب يدخله". اهـ

- من أجل ذلك قال النبي ﷺ ***فيما يرويه الإمام مسلم من حديث المقداد*** ﷺ:

"احثُوا التراب في وجوه المدَّاحين"

- وعند الإمام مسلم أيضاً من حديث همام بن الحارث:

"أن رجلاً جعل يمدح عثمان ﷺ**، فعمد المقداد** ﷺ **فجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان** ﷺ**: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله** ﷺ **قال: إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب".**

- وفي رواية: **"أمرنا رسول الله** ﷺ **أن نحثوَ في وجوه المدَّاحين التراب".**

- وعند البخاري في "الأدب المفرد" عن عطاء بن أبي رباح:

"أن رجلاً كان يمدح رجلاً عند ابن عمر ﷺ**، فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فِيهِ، وقال: قال رسول الله** ﷺ**: إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب".**

• ما يجب على الممدوح فعله

١. أن يتَّهم نفسه دائماً بالتقصير، ويُذكِّرها بذنوبها، ويستصغر عبادته وطاعته، ويهتم بنظر الله إليه وليس بمدح ونظر الناس إليه.

٢. وعلى الممدوح كذلك أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكِبر، والعُجْب، وآفة الفتور، ويتذكَّر أنه يعلم عن نفسه ما لا يعلمه المادح.

ويعلم كذلك أن هذا المدح لا يرفع قدره عند الله ﷻ

وكان علي بن أبي طالب إذا أثنى عليه أحد يقول:

"اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً ممَّا يظنون".

• ما يجب على المادح

١ ـ ألا يمدح إلا بما يعلمه في الممدوح فيه

وقد جاء في "كتاب الصمت" لابن أبي الدنيا: "أن عمر ﷺ سمع رجلاً يثني على رجلٍ، فقال له: أسافرت معه؟ فقال: لا، قال: هل خالطته؟، قال: لا، قال: والله الذي لا إله إلا هو ما تعرفه".

ومن أمثال العرب في ذلك: "لا تهرف [1] بما لا تعرف"

٢ ـ ألا يغالي في المدح

قال أبو عبيدة ﷺ تحت عنوان "القصد في المدح وما يؤمر به من ذلك"

ومن أمثلة العرب في ذلك: "مَن حفنا أو رافنا فليقصد"

أي مَن مدحنا فلا يغلُونَّ في ذلك، ولكن ليتكلَّم بالحق، ***ومنه حديث مرفوع رواه أبو داود والترمذي وفيه:*** **"أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: أنت أفضل قريش قولاً، وأعظمها طولاً، فقال النبي ﷺ: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان".**

(١) الهرف: هو الإطناب في الثناء والمدح.

ورواه ابن أبي الدنيا من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قال:

"قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر، فقالوا: أنت والدنا، وأنت سيدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت أطولنا علينا طولاً، وأنت الجفنة الغرَّاء، وأنت... وأنت، فقال: "قولوا قولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطان" (صححه الألباني في سنن الترمذي).

ورُوينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رجلاً أثنى عليه في وجهه فقال له علي:

"أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك"، ***قال أبو عبيد:*** "معناه أنه يصفه بخلاف ما في قلبه"

فإذا كان لابد للمادح أن يمدح إنساناً، فعليه أن يمدحه بما يعرفه فيه، وألا يغالي في مدحه، وليقل: **"أحسبك كذا، أو أراك كذا، ولا أزكِّي على الله أحداً"**

وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"مَن كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكِّي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه".

• المدح المباح

وتتمة للفائدة أذكُر هنا المدح المباح والمقصود به

وهذا المدح لا بأس به إذا كان المدح لا يعود بالفتنة على الممدوح، وليس فيه مجازفة أو إفراط.

- وقد بوَّب البخاري ﷺ في "صحيحه" باب مَن أثنى على أخيه بما يعلم" ثم قال:

"قال سعد ﷺ: "ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على الأرض إنه من أهل الجَنَّة إلا لعبد الله بن سلام ﷺ"

- وساق البخاري أيضاً بسنده عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مَن جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله ﷺ، إن أحد شِقَيّ إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي ﷺ: لست ممَّن يصنعه خيلاء"

فهذا كله جائز ومستثنى من المدح المذموم

- وقال الحافظ ابن حجر ﷺ كما في "فتح الباري" (١٠/٤٩٣):

"إذا كان الممدوح يؤمن معه الكبر أو الإعجاب أو الفتور من العمل؛ لم يكن به بأس (أي المدح)، وربما كان مُستحبا".اهـ

- وقال ابن عيينة ﷺ: "مَن عرف نفسه لم يضره المدح" (الإحياء: ٣/٢١٥)

والضابط أن لا يكون المدح فيه مجازفة، ويؤمن على الممدوح الإعجاب والفتنة والتقصير

ومن جملة ذلك الأحاديث في مناقب الصحابة ﷺ، ووصف كل واحدٍ منهم بما وُصِف به من الأوصاف الجميلة

- كقول النبي ﷺ فيما يرويه البيهقي في "المحاسن والمساوئ":

"ما طلعتْ الشمسُ ولا غربتْ على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق"

- وكقول النبي ﷺ لعمر ﷺ: "والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ سالكاً فَجا إلا سلك فَجًا غير فجَّك"

(رواه البخاري في مناقب الأصحاب)

ـ وكقول النبي ﷺ في حق الصحابة كما يروي ذلك الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

"أرحمُ أُمَّتِي بأُمَّتِي أبو بكر، وأشَدُّهم في دين الله عمر، وأصدقُهُم حياءً عثمان، وأعلمُهُم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفْرَضُهُم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبيّ بن كعب، ولكلِّ أُمَّةٍ أمين، وأمين هذه الأُمَّة أبو عبيدة بن الجرَّاح".

ـ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح"(١٠/٤٧٧):

"فمَن مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مُدِحَ النبي ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحثُ في وجه مادحه ترابًا". اهـ

ـ قال الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم"(١٨/١٢٦):

"قد جاءت أحاديث كثيرة في "الصحيحين" بالمدح في الوجه، قال العلماء: "وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على مَن يخاف على فتنته من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشاطه للخير والازدياد منه، أو الدوام عليه، والاقتداء به كان مستحباً... والله أعلم". اهـ

والحق ما قاله الإمام النووي رحمه الله:

"فلقد مدح النبي ﷺ أصحابه بصدق وبحق، فهو يعلم ما هم عليه، ويُوحَى إليه في شأنهم.

وأما هم فقد كانوا أجلَّ وأعظم وأكبر من أن يصيبهم المديح بالكبر أو العُجْب أو الغرور، أو يَتَّكِلُوا على ذلك فيصيبهم الفتور.

ثالثا: الـهـجـاء

الهجاء لغة: خلافُ المدح، وهجاه هجْواً وهِجَاءً، أي: شتمه بالشعر، وعدَّد فيه معائبه، ويقال: "هجا فلانٌ فلاناً: يعني شتمه وسَبَّهُ وعابه، والمرأة تهجو زوجها: أي تذمَّه وتشكو صُحْبَتَهُ.

وفي الحديث: "**اللهم إن فلاناً هجاني فاهْجُهُ، اللهم مكانَ ما هجاني**" أي جازِهِ على هجائه إيَّايَ جزاءَ هجائِهِ، **وهذا كقوله تعالى:** ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ **[الشورى:٤٠]**

وفي حديث آخر: "**اللهم إن عمرو بن العاص هجاني** [(١)]**، وهو يعلم أنَّي لست بشاعر، فاهجُهُ، اللهم والعَنْهُ** [(٢)] **عددَ ما هجَانِي أو مكان ما هجاني** [(٣)]" أي جازه على الهجاء.

(انظر لسان العرب: ٤٦٢٧/٦)، (النهاية: ٢٤٨/٥) (الصحاح: ٢٥٣٣/٦)

الهجاء اصطلاحاً: ما وُصِفَ به الإنسان من الأخلاق الذميمة شعراً.

وقال بعضهم: "الهجاء: نزع الصفات الحميدة عن المهجو ووَصْمُهُ بأَضدَادِها.

• حـكـم الـهـجـاء

عَدَّ ابن حجر الهيتمي ﷺ أن من الكبائر الشِّعْرِ المُشتَمِل على هجو المسلم، ولو بصدقٍ، وكذا إن اشتمل على فُحْشٍ أو كذبٍ فاحشٍ، وتُرَدُّ شهادةُ الهاجِي لفسقِه، وقد صرح بذلك بعض العلماء، فقال: "إن هجا مسلماً فسَقَ، أو ذِمِّيا فلا بأس، وقال آخر: إذا آذى في شِعْرِه بأن هجا المسلمين أو رجلاً مسلما فسق به لأن إيذاء المسلم مُحَرَّم، ويستوي في ذلك قليل الهجاء وكثيره؛ لأن الشعر يُحْفَظُ ويَعْلَقُ بالأذهان ويعاودُ فيبقى على الأعصار والدُّهور بخلاف النَّثْرِ، وكما يحْرُمُ الهجْوُ يحرُمُ إنشادُهُ أيضاً، ولكن ليس إثم حاكِي الهَجْو كإثم مُنْشِدِه". اهـ بتصرف واختصار **(الزواجر: ص٦٦٢)**

---

(١) كان هذا قبل إسلام عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) وما وقع من النبي ﷺ من لَعْن أحد من أهل القبلة، فقد دعا الله أن يجعلها له كفارة

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تُخْلفينه، فأيَّما مؤمن آذيته، أو سبَبْته، أو جلدته، فاجعلها له كفارة وقربة تُقَرِّبه بها إليك يوم القيامة".

(٣) *قال أهل العلم في شرح هذا الحديث:* "وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ على أُمَّتِه، وجميل خلقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم".

• ذم الهجاء

ـ أخرج ابن ماجه والبيهقي عن عائشة ﵂ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

"إن أعظم الناسِ عند الله فريةً لِرَجُلٌ هاجَى رجلاً فهَجَا القبيلة بأسْرِهَا، ورجلٌ انتفى من أبيه، وزَنَّى أُمَّهُ" (قال الحافظ في "الفتح": "إسناده حسن)، و(هو في الصحيح:٧٦٣)، (صحيح الجامع: ١٥٦٩)

ـ وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة ﵂ أنها قالت:

"جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا. قَالَتِ الأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ، غَثٌّ (١) عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لاَ سَهْلٍ (٢) فَيُرْتَقَى (٣)، وَلاَ سَمِينٍ (٤) فَيُنْتَقَلُ (٥). قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لاَ أَبُثُّ خَبَرَهُ (٦)، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ (٧)، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ (٨) وَبُجَرَهُ (٩). قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ (١٠)، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ (١١).

---

(١) الغث: الهزيل النحيف الضعيف.

(٢) أي: الجبل ليس بسهل، والمعنى: أن صعوده شاق لوعورته.

(٣) يرتقى: أي يصعد عليه. (من صفة الجبل)

(٤) المراد: اللحم.

(٥) ينتقل أي: يتحول. (من صفة اللحم)

ـ أن المرأة وصفت زوجها بقلة الخير وبعده، وشبهته باللحم الغث الذي لا نقى فيه، أو هو الذي لا ينقله الناس إلي بيوتهم لزهدهم فيه، ومع ذلك هو على رأس جبل صعب لا يوصل إليه إلا بالتعب.

وذكر الخطابي ـ رحمه الله ـ: إنها أشارت ببعد خيره إلى سوء خلقه، وترفعه بنفسه تيهاً. وأرادت أنه مع قلة خيره يتكبر على عشرته وأهله.

ـ والمعنى الإجمالي لقولها ـ والله أعلم ـ: أنها شبهت زوجها بلحم الجمل الضعيف الهزيل، وهذا اللحم رغم أنه لحم جمل ضعيف هزيل فهو موضوع على قمة جبل وعر يصعب الصعود إليه، فالجبل ليس بسهل للارتقاء، واللحم ليس بسمين يستحق مكابدة المشاق.

ـ وتنزيل هذا على الزوج كالتالي: أنها تذم زوجها فتقول: إن لحمه كلحم الإبل ليس كلحم الضأن الطيب، والمعنى: أنها لا تستمتع بزوجها ذلك الاستمتاع المطلوب، فهو رجل ضعيف لحمه غير جيد، وكأنها تصف مضاجعته لها، تعنى: أنني إذا استمتعت منه بشيء فكأني أكل لحم الجمل الهزيل، وهو مع هذه الحالة من الهزال والضعف خلقه سيء، فلا أحد يعرف كيف يتكلم معه ولا كيف يتخاطب معه، ولا يصل إليه لسوء خلقه، وحتى إذا وصلت إليه بعد مكابدة المشاق، فماذا عساي أن أحصل منه؟ إنني بعد هذا الجهد للوصول إليه لا أجد شيئاً يستحق أن آخذه وأنتقل به وأستمتع به، والله أعلم.

(٦) أبث: معناها أنشر، لا أبث خبره: لا أظهره ولا أشيعه.

(٧) أذره: أتركه، والمعنى أترك خبره وقال العلماء: إن (لا) زائدة.

(٨) العجر: انتفاخ العروق في الرقبة.

(٩) البجر: انتفاخ العروق في السرة.

ـ عجره وبجره: العجر هي العروق والأعصاب التي تنتفخ وتظهر في الوجه والجسد عند الغضب أو عند الكبر والبجر مثلها إلا إنها مختصة بالبطن. والمعنى: هناك عيوب ظاهرة وباطنة

ويروى أن علياً ـ رضي الله عنه ـ لما رأي طلحة صريعاً قال: إلى الله أشكو عجري وبجري، يريد همومي وأحزاني.

والمعنى الإجمالي والله أعلم: أن المرأة تشير إلى أن زوجها مليء بالعيوب، *فهي تقول:* إنني إذا تكلمت فيه ونشرت أخباره أخشي أن أستمر في الحديث ولا أنتهي؛ لكثرة ما فيه من شرور وانفعالات، وماذا أتذكر من زوجي إن تذكرت منه شيئاً، فالذي أتذكره هو العقد الموجودة في وجهه، وانتفاخ أوداجه والنتوء الظاهرة في عروق البطن والجسد، هذا الذي أذكره منه.

ومن العلماء من قال: إن معنى قولها: "إني أخاف ألا أذره" أي: أخاف أن لا أتحمل مفارقته، فإنه إذا بلغه أنني تكلّمت فيه طلقني، فأخشى من مفارقته لوجود أولادي وعلاقتي به، والأول أولى، والله أعلم.

(١٠) العشنق: الطويل، أو طويل العنق، تريد أن له طولاً بلا نفع، ومنظراً بلا مخبر.

وقيل: هو الطويل المذموم الطول، وقيل: هو السيء الخلق، وقيل: هو النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا تتحكم فيه النساء،

وقيل: عكس ذلك أنه الأهوج الذي لا يستقر على حال.

(١١) أما قولها: إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق فمعناه والله أعلم: إذا تكلمت عنده وراجعته في أمراً طلقني، وإن سكت على حالي لم يلتفت إليّ وتركني كالمعلقة التي لا زوج لها ولا هي أيم، فلا زوج عندها ينتفع به، ولا هي أيم تبحث عن زوج لها. الله أعلم.

قَالَت الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ(١)، لاَ حرٌّ، وَلاَ قُرٌّ، وَلاَ مَخَافَةَ، وَلاَ سَآمَةَ(٢).قَالَت الْخَامِسَةُ: الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ (٣)، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ (٤)، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ (٥).قَالَت السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ (٦)، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ(٧)، وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ(٨)، وَلاَ يُولِجُ الْكَفَّ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ (٩).

قَالَت السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ (١٠). أَوْ عَيَايَاءُ (١١). طَبَاقَاءُ (١٢)، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكِ (١٣) أَوْ فَلَّكِ (١٤) أَوْ جَمَعَ كُلا لَكِ..." الحديث.

---

(١) قولها: كليل تهامة: أما تهامة فبلاد تهامة المعروفة، والليل في هذه البلاد معتدل، والجو فيها طيب لطيف فهي تصف زوجها بأنه لين الجانب الجانب هادئ الطبع رجل لطيف.

والقر هو البر، يقال: قررت: أي أصابني البرد.

(٢) مخافة من الخوف، والسآمة من قوله: سأم الرجل أي ملّ وتعب، والمعني أنني أعيش مع زوجي آمنة مطمئنة مرتاحة البال لست خائفة ولا أمل من معيشته معي، وحالي عنده كحال أهل تهامة وهم يستمتعون بلذة ليلهم المعتدل وجو بلادهم اللطيف. (ليس فيه خلق أخاف بسببه أو يسأمني أو أسأمه).

(٣) فهد بفتح الفاء وكسر الهاء وفتح الدال من الفهد المعروف، أي فيه من خصال الفهد.

(٤) أسد بفتح الألف وكسر السين وفتح الدال من الأسد، أي فيه من خصال الأسد.

(٥) *هذا الوصف الذي وصفت به المرأة زوجها محتمل احتمالين:* إما المدح وإما الذم.

. أما المدح فله وجوه أحدها: أنها تصف زوجها بأنه فهد لكثرة وثوبه عليها وجماعه لها فهي محبوبة عنده لا يصبر إذا رآها، أما هو في الناس إذا خرج فشجاع كالأسد. *وقولها:* لا يسأل عما عهد أي: أنه يأتينا بأشياء من طعام وشراب ولباس ولا يسأل أين ذهبت هذه ولا تلك.

والوجه الثاني للمدح: أنه إذا دخل البيت كان كالفهد في غفلته عما في البيت من خلل وعدم مؤاخذته لها على القصور الذي في بيتها، وإذا خرج في الناس فهو شجاع مغوار كالأسد، . ولا يسأل عما عهد، أنه يسامحها في المعاشرة على ما يبدو منها من تقصير.

. أما الذم فهي تصف زوجها بأنه إذا دخل كان كالفهد في عدم مداعبته لها قبل المواقعة، وأيضاً سيئ الخلق يبطش بها ويضربها ولا يسأل عنها، فإذا خرج من عندها وهي مريضة ثم رجع لا يسأل عنها ولا عن أحوالها ولا عن أولاده، والله أعلم.

(٦) أي: مر على جميع ألوان الطعام التي على السفرة فأكل مها جميعاً.

(٧) اشتف أي: شرب الماء عن آخره. لم يُسئر (أي لم يترك سؤراً وبقية).

(٨) أي: التف في اللحاف والفراش وحده بعيداً عني.

(٩) لا يدخل يده إلى جسدي ويري ما أنا عليه من حال وأحزان، فهي تصف زوجها بما يُذم به الرجل وهو كثرة الأكل والشرب وقلة الجماع، والله أعلم.

(١٠) الغياياء: هو الأحمق.

(١١) والعياياء (من العي) الذي لا يستطيع جماع النساء.

(١٢) طباقاء: بلغ الغاية في الحمق. كل داءٍ له داء: إلى العيوب المتفرقة في الناس مجتمعة فيه.

(١٣) شجك: أي: إذا كلمتيه شجك والشج هو الجرح في الرأس. .

(١٤) والفلول هي الجروح في الجسد، والمعني: إذا راجعته في شيء ضربني على رأسي فكسرها أو على جسدي فأدماه أو جمعهما لي معاً، أي جمع لي الضرب على الرأس (الذي هو الشج) مع جراح الجسد (الفلول)، والله أعلم.

- ***وأخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس ﷺ قال:***

"أن أعمى كان على عهد رسول الله ﷺ، وكانت له أُمٌّ وَلَدٍ، وكان له منها ابنان، وكانت تكثرُ الوقيعة برسول الله ﷺ وتسبُّهُ، فيزجرها فلا تزجر، وينهاها فلا تنتهي، فلما كان ذات ليلةٍ ذكرْتُ النبي ﷺ فوقعت فيه، فلم أصبرْ أن قمتُ إلى المِغْوَلِ[1] فوضعتُهُ في بطنها فاتكأت عليه فقتلتُهَا فأصبحتْ قتيلاً، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس، وقال: أَنْشُدُ اللهَ رجلاً لي عليه حقٌ فعل ما فعل إلا قام، فأقبل الأعمى يتَدَلْدَلُ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت أُمّ ولدي وكانت بي لطيفة رقيقة، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، ولكنها كانت تكثر الوقيعة فيك وتشتُمُك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، فلما كانت البارحة ذكرْتُكَ فوقعتْ فيكَ، فقمتُ إلى المِغْوَلِ فوضعتُهُ في بطنها فاتَّكَأتُ عليها حتى قتلتُها، فقال رسول الله ﷺ: "ألا اشهَدُوا أن دمَهَا هَدَرٌ".

- ***وأخرج الترمذي عن البراء بن عازب ﷺ أنه قال في قوله تعالى:***

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤]، قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن حَمْدِي زَيْنٌ، وإن ذَمِّي شَيْنٌ، فقال النبي ﷺ: "ذاكَ اللهُ"

والمعنى أن هذا الرجل يمدح نفسه ويظهر عظمته، ويقول: "إن مدحت رجلاً فهو محمود ومزين، وإن ذممتُ رجلاً فهو مذموم ومعيب.

(١) المِغْوَلُ: سيف قصير أو سكينة.

• هجاء الكافر والفاسق

مرَّ بنا في تعريف الهجاء بأنه ما وُصِفَ به الإنسان من الأخلاق الذميمة شِعْراً، وهو منهيٌّ عنه شرعاً، لكنه يجوز في حقِّ الكافر أو الفاسق.

- فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث عائشة ﵂ قالت: إن رسول الله ﷺ قال:

"اهجُوا قريشاً فإنه أشدُّ عليها من رشقٍ بالنَّبْلِ، فأرسل إلى ابن أبي رواحة، فقال: "اهْجُهُم" فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسَّان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن تُرسِلوا إلى هذا الأسد الضَّارب بِذَنَبِه، ثم أَدْلَعَ لسانه فجعل يُحَرِّكُهُ، فقال: والذي بعثك بالحق لأفْرِيَنَّهُمْ بلساني فَرْي الأديم، فقال رسول الله ﷺ: "لا تعجل، فإن أبا بكر أعْلَمُ قريشٍ بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً، حتى يُلَخِّصَ لك نسبي"، فأتاه حسانُ، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لَخَّصَ لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، قالت عائشة: فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسان: "إن رُوحَ القُدُس لا يزالُ يُؤَيِّدُكَ ما نافحتَ عن الله ورسوله"، وقالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: هجَاهُم حسَّانُ فشَفَى واشْتَفَى"

قال حسان ﵁:

هَجَوْتُ مُحمداً فَأَجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجَزاءُ
هَجَوْتُ مُحمداً بَرّاً تَقِيا ... رسولَ اللهِ شِيمَتُهُ الوفاءُ
فإنَّ أبي ووالدَهُ وعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحمدٍ منكم وِقَاءُ
تَكِلْتُ بُنَيَّتِي إن لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقعَ من كَنَفَيْ كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدات ... على أكتافِها الأَسْلُ الظِّمَاءُ
تظلُّ جيادُنَا مُتَمَطِّرات ... تُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ
فإنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وكان الفتحُ وانكشفَ الغِطَاءُ
وإلا فاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَومٍ ... يُعِزُّ اللهُ فيه مَن يشَاءُ
وقال اللهُ: قد أرسلتُ عبداً ... يقولُ الحقَّ ليس به خَفَاءُ
وقال اللهُ: قد يَسَّرتُ جُنْداً ... هُمُ الأنصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لنا في كُلِّ يومٍ منْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أو قِتالٌ أو هِجَاءُ
فمن يهجو رسولَ الله منكم ... ويمدحه وينصره سواءُ
وجبريلٌ رسولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ ليس لهُ كِفَاءُ

- ***وأخرج الإمام أحمد عن عمَّار بن ياسر ﷺ أنه قال:***

"لمَّا هجانا المشركون شكوْنَا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: "قولوا لهم كما يقولون لكم"، قال: فلقد رأيتنا نُعَلِّمُهُ إِمَاءَ أهلِ المدينة"

وقد أطلق كثير من العلماء جواز هجو الكافر، مُستَدلِّين بأمره ﷺ لحسان ﷺ بهجو المشركين، وألحق الغزالي وتبعه جمعٌ من العلماء بالكفار المُبتَدِعين حيث يجوز هجوهم ببدعتهم، ولكن لمقصدٍ شرعيٍّ كالتحذير من هذه البدعة، ويجوز أيضاً هجو المُرتدِّ بخلاف الفاسق؛ فإنه لا يجوز هجاؤه، وإلا بما تجَاهَرَ به من فسقٍ فقط لجواز غيبته به، ولقصد زجره". اهـ بتصرف واختصار (الزواجر: ص٦٦٥)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك